الخاتمة

نخلص من دراستنا النصيَّة الموسومة بـ [نزار قباني (بحث في علم الجمال النصّي)] إلى النتائج التالية:

1- إن شعرية القصيدة النزارية تتأسَّس على خصوبة اللفظة، ومردودها الفني، ومغرياتها التأسيسية، ومحفزاتها الشعورية، وهذا ما يحقق لها التناغم ، والإثارة التحفيزية، خاصة في قصائده الشعرية السياسية والغزلية التي تشي بمغرياتها النسقية، وأواصرها النصية المراوغة، فقصيدة القباني تعبِّر عن إحساسها العميق، وسموقها الفني، ومنظورها الإبداعي، ورشاقة إيقاعاتها الصوتية، وحنكة القباني بالوقوف على الفاصلة التقفوية المؤثرة، ذات الموسقة الإيقاعية، وهذا يعني أن صلب الرؤية، ومركز ثقلها الإبداعي يتحقق في هذا العمق في طرح الرؤية بسلاسة، وإثارة، واقتصاد لغوي مثير، وموسقة، وإيقاع، مما يدل على أن شعرية القباني شعرية غنائية ذات موقف ، ورؤية ، ومنظار رؤيوي متجدد.

2- تشي قصائد القباني مهما اختلفت أنساقها الشعرية بغناها المعرفي، ونهجها الأسلوبي المتنوع في الخصائص، والسمات، والمقومات الفنية، ولهذا مهما اختلفت المناهج البحثية في تقويم النص، وتحليل سماته الأسلوبية، فإنَّ ثمة مقومات فنية تستثيره، وتحفزه فنياً، تبعاً لمعطيات فنية ورؤى تصويرية محفزة على المستويات كلها، ومن أجل هذا تحقق قصائده التناغم ، والإثارة، والمتعة، في لغتها، وقدرتها التصويرية العالية، وعاطفتها المشبوبة، وبُناها الفنية، وإيقاعها التقفوي المموسق.

3- إن قارئ قصائد نزار قباني لا يخفى عليه براعة دفقتها الاستهلالية، وتناغمها مع قفلتها النصية، وهذا يعني أن ثمة تناغماً وانسجاماً وتلاحماً في بنية القصيدة القبانية، لتحقق مثيرها الفني، ولذلك، فإن قارئ قصائد القباني، يجد متعة في تلقّي النص القباني، ومتعة في تكثيف رؤاه الغزلية، تبعاً لمغيِّراتها، ومؤثراتها الفاعلة.

4- إن دهشة المناورات الفنية التي تمتاز بها قصائده رغم بساطتها اللغوية ، وقربها في بساطتها من اللغة الدارجة، أو لغة الحياة اليومية الشائعة، فإنها حققت حضورها الفني اللافت، عبر دهشة الصورة وتناغمها فنياً وإيقاعياً مع مغريات المشهد الشعري المجسد، وهذا ما يحقق لها التناغم، والتفاعل، والانسجام، ولذلك لا يجد القارئ تفاوتاً كبيراً في المستوى الفني بين المراحل الشعرية، التي مرت بها القصيدة القبانية، وهذا ما يجعلها محط إعجاب وتقدير الكثير من النقاد والدارسين، حتى لا يكاد يعثر الباحثون على هنة لغوية أو إيقاعية في قصائده، لدرجة يمكن القول معها: إن القباني ولد كبيراً، وناضجاً فنياً في قصائده في كل المراحل التي مرت بها قصائده، ولا عجب في ذلك، فهو يغمس من حبر المعاناة، ومضاضة الألم، والحرقة، والاغتراب، فكانت المرأة متنفسه الوجودي ومتنفسه الإبداعي في معظم قصائده، وما حضورها القوي في جُل قصائده إلا حضور الحاجة والرؤية والفن الإبداعي من جذوره ومنابعه الأصيلة.

5- إن دهشة التفاعل، والالتحام، والتماسك التي تخلقها نصوصه الشعرية، ما كانت نتيجة ترسيم مسبق، أو تخطيط مقصود، إنه يخضع قصيدته لرؤية آنية يكون حبيسها أو رهينها منذ زمن، وهذا ما يولد في القصيدة متعة في الإثارة،

ومتعة في التفعيل، والحراك النصي، والحرارة العاطفية المحمومة في جُلِّ قصائده، لذلك يلحظ القارئ غلبة الأصوات الانفجارية الحادة على الأصوات المهموسة، مما يدل على زخمها الانفعالي الحاد، وحراكها الشعوري العميق.

6- إن شعرية القصيدة القبانية ليست قاصرة على نزعتها الغنائية كما يعتقد البعض، وإنما على كل ما في المضمار النصي من رؤى، ومحفزات، وبُنى، ومتحولات نصية، وهذا يضمن لها مزيداً من التفعيل، والشفافية ، وعمق الإيحاء، ومن هنا، لعبت القصيدة – عند القباني – دوراً مهماً في استثارة القارئ بالشكل اللغوي المبسط، والنبض الإيحائي العميق. والموسيقا الشعرية المتناغمة مع حركة القوافي المتواترة والصور الإيحائية الدهشة.